



المملكة المغربية
المجلس العلمي الأعلى
الأمانة العامة

المجلس العلمي الجهوي لجهة طنجة تطوان الحسيمة
المجلس العلمي المحلي لعمالة طنجة أصيلة



التراث المغربي في نظر السيرة النبوية في عهد الدولة العلوية

سلسلة من عشر حلقات

إعداد: دة. شيماء اشبعير
عضو المجلس العلمي المحلي لعمالة طنجة أصيلة





باسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي شرف هذه الأمة بخدمة سيرة نبيها صلى الله عليه وسلم، والصلاة والسلام على سيدنا محمد المبعوث رحمة للعالمين، وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد؛ فقد حظيت السيرة النبوية بمكانة بارزة في التراث الإسلامي، فكانت محل اهتمام العلماء والأدباء والوعاظ والمربين، ينهلون منها معاني الهداية، ويستنبطون من أحداثها دروس العظة والدراية، ويترجمون من خلالها مشاعر المحبة والتعظيم لرسول الله صلى الله عليه وسلم.

وقد نالت السيرة النبوية عناية خاصة في المغرب الأقصى، حيث أقبل العلماء على دراستها رواية ودراية، شرحا واختصارا، تأليفا وتحقيقا، حتى غدت من أبرز الحقول المعرفية التي أسهمت فيها المدرسة المغربية إسهاما متميزا.

ومن أبرز مظاهر هذه العناية ما عرفه التراث المغربي من ازدهار فن المنظومات العلمية، وهو فن تعليمي لجأ إليه العلماء قصد تقريب العلوم إلى الطلبة وتيسير حفظها واستحضار مسائلها، فنظمت متون العقيدة والفقه والحديث والأصول واللغة وغيرها، وأضحى المنظومات وسيلة تعليمية حظيت بمكانة راسخة في الحياة العلمية بالمغرب، ولا سيما داخل المساجد والزوايا والمدارس العتيقة.

وقد وجد هذا الفن عناية كبيرة خلال عهد الدولة العلوية، فازدهر نظم السيرة النبوية، وأقبل العلماء والفقهاء والأدباء على نظم أحداثها ومغازيها وخصائصها وشمائل صاحبها صلى الله عليه وسلم، رغبة في تقريبها إلى عامة الناس وطلبة العلم، وترسيخ محبته في النفوس.

ولم تقتصر هذه المنظومات على مجرد السرد التاريخي لأحداث السيرة النبوية، بل تجاوزت ذلك إلى إبراز الدلالات الإيمانية والتربوية المستفادة منها، فجمعت بين التعليم والتزكية، والمعرفة والمحبة، والحفظ والتأسي والافتداء، كما تنوعت موضوعاتها وأحجامها ومناهجها، مما يعكس ثراء الإنتاج العلمي المغربي.

وتأتي هذه السلسلة الموسومة بـ: "التراث المغربي في نظم السيرة النبوية في عهد الدولة العلوية" للكشف عن جهود المغاربة في خدمة السيرة النبوية، من خلال التعريف بأبرز المنظومات التي ألُفَت خلال هذا العهد، وبيان مكانتها العلمية ودورها في حفظ السيرة النبوية ونشرها بين مختلف فئات المجتمع المغربي.

وتنبع أهمية هذه السلسلة من كونها تبرز مظاهر المحبة الصادقة لرسول الله صلى الله عليه وسلم التي تجلت في جهود العلماء المغاربة، كما تساهم في التعريف بمنظومات مغربية لا يزال كثير منها بحاجة إلى مزيد من الدراسة والتحقيق.



﴿1﴾ غناية الوصر في نظم ما جمل من علم السير

لأبي زيد عبد الرحمن بن عبد القادر الفاسي (ت: 1096هـ)

إعداد: دة. شيماء اشعير

عضو المجلس العلمي الجهوي للصنعة

الناظم:

هو الإمام العلامة المحقق الفهامة المتفنن في العلوم أبو زيد عبد الرحمن بن عبد القادر بن علي بن الشيخ الكبير أبي المحاسن يوسف الفاسي الفهري، ولد بفاس يوم الأحد سابع عشر جمادى الأخيرة عام 1040 هـ، وبها نشأ في بيت علم وصلاح.

حفظ القرآن الكريم وهو ابن سبع سنين، ثم أخذ عن شيوخ عصره، ومن أبرزهم والده العلامة المتفنن المفتي عبد القادر بن علي بن يوسف الفاسي (ت 1091هـ)، وأخذ عن عمه أحمد بن علي الفاسي، وقريبه محمد بن أحمد بن أبي المحاسن الفاسي، وحدون بن محمد الأبار، والشيخ ميارة الكبير، ومحمد بن أحمد الصباغ، وأبو العباس أحمد بن محمد ابن عطية الزناتي الأندلسي السلوي، وأبو عبد الله محمد بن محمد الشريف البوعناني، وأبو محمد عبد القادر بن علي الطيليبي الأندلسي، وغيرهم ممن أخذ عنهم وأجازوا له.

وقد اختلفت أقوال المترجمين في مدى اشتغاله بالتدريس؛ فذكر عبد الحي الكتاني أنه لم يكن له كبير اعتناء به، فقلّ تلامذته لانشغاله بالتأليف ولقصر المدة التي عاشها بعد وفاة أبيه، إذ لم يعيش بعده إلا خمسة أعوام⁽¹⁾، غير أن أبا جعفر الكتاني خالف ذلك، فذكر في «السلوة»: «قرأ عليه كثير من أشياخه وأقرانه»⁽²⁾. ومن تلامذة أبي زيد الآخذين عنه: ابنه أبو عبد الله محمد بن أبي زيد عبد الرحمن الفاسي⁽³⁾، وأبو سالم عبد الله بن محمد بن أبي بكر العياشي.

وقد حظي أبو زيد بثناء العلماء والأقران، فوصفوه بأنه «سيوطي زمانه»؛ لغزارة تأليفه وسعة اطلاعه، وقال فيه محمد بن الطيب القادري: «الإمام العلامة الحافظ المشارك المقرئ... اتسعت مشاركته في العلوم، وشاعت براعته في المنظوم، أحد الأعلام الحفاظ، له الذوق السليم، والفتح العظيم، والغوص على الدقائق، والاهتداء للطائف الرقائق، يأتي بالعجائب، ويحيط بما يديه من الغرائب، كثير التقييد، متسع لكل مفيد، مغرب مكثار، شامخ العز والمقدار»⁽⁴⁾.

وقال فيه صاحب منظومة الدر الصفي:

والشافي من أبناء عبد القادر ** العلم الخبير الوجه الماهر

وهو الإمام عابد الرحمن ** الحافظ المغرب عالي شان

كان مشاركا مقداما ** وفاقلا في كنبه مكثارا

أعجوبة الزمان ذا بصيرة ** ومغرب النقل على السيرة⁽⁵⁾

(1) ينظر: فهرس الفهارس 2 / 735.

(2) ينظر: نشر المثاني 2 / 327، وسلوة الأنفاس 1 / 357، وصفوة من انتشر ص 338.

(3) ينظر: شجرة النور الزكية ص 333-316-317.

(4) ينظر: نشر المثاني 2 / 325.

(5) ينظر: الدر الصفي في وصف ما أبدى الجمال اليوسفي مع (غناية أولي المجد) ص 97.



وجمع إلى سعة علمه حسن الخلق والتواضع، وكانت الكتابة ديدنه، حيث بلغت مؤلفاته ما يزيد على مائتي مصنف، وقد قال فيه تلميذه أبي سالم العياشي:

ما في البسيطة طرا من يُباريكا ** يا أطيب المنتمى سُبْحان باريكا
وقد سبرتُ الوري فلر أجد أحداً ** من يرومُ العلا منهم يُوانيكا
شرقاً وغرباً فلر بطرق مسامعنا ** من في سنين الصبا يجري مجاريكا
من ألف الكتب في سن البلوغ ومن ** له بكل العلوم كفتاويكا

وكان رحمه الله الحامل للواء النظم في زمانه؛ إذ نظم في فنون شتى، منها: الأصول والحديث والتفسير والفقه والفرائض والحساب والعروض والسياسة والمنطق والتوقيت والطب والهندسة، ومن أشهر آثاره: «مفتاح الشفا»، جاري به شفا القاضي عياض، وفيه يقول عبد الحي الكتاني: «وهو كتاب واسع النقل كبير الإفادة، يدل على سعة حوصلة مؤلفه»⁽¹⁾، و«الأقنوم في مبادئ العلوم»، نظم رجزي يضم 17383 بيتاً، تحدث فيه عن 278 فناً، و«استطابة التحديث بمصطلح الحديث»؛ منظومة في مصطلح الحديث، و«كنز السعادة في الصلاة على سيد السادة»، و«إتياج القلوب بنظم الاقتراح»، نظم فيه كتاب الاقتراح للسيوطي في مبادئ النحو، و«اللمعة في قراءة السبعة»، و«مستفاد السؤل في أصل الاعتقاد من المعقول»؛ منظومة عقدية تعليمية، و«الروض الموهوم في الطب بالنجوم»، و«التحرير في علم التفسير»، و«نظم ما جرى به العمل في فاس»، و«نظم مختصر في أصول الفقه»، و«تأليف في القواعد الفقهية»، و«إتياج القلوب»، في مناقب جده وشيخه المجذوب، وغير ذلك من المصنفات التي استوعب ذكرها ابنه في كتاب «اللؤلؤ والمرجان في مناقب الشيخ عبد الرحمن»⁽²⁾.

توفي رحمه الله يوم الثلاثاء السادس عشر من سنة 1096هـ، بعد أن أقعده المرض ستة أعوام، وقد دُفن بزاوية أبيه بمدينة فاس.⁽³⁾

(1) ينظر: نشر المثاني 2/ 325.

(2) يوجد له نسختان بالخزانة الحسنية بالرباط برقم 597 و 12227 تحت عنوان: «اللؤلؤ والمرجان من كلام الإمام أبي زيد عبد الرحمن».

(3) ينظر: النقاط الدرر 1/ 230-232، ونشر المثاني 1/ 325-329، والإكليل والتاج ص 412، وطبقات الحضيكي 2/ 402-403، وسلوة الأنفاس 1/ 357-358، وفهرس الفهارس 2/ 735-736، وعناية أولى المجد ص 43-44، وصفوة من النشر ص 337-338، ومعجم طبقات المؤلفين 2/ 162-164، وشجرة النور الزكية 315-316، وهدية العارفين 1/ 550، والأعلام 3/ 310، ومعجم المؤلفين 5/ 145، والنبوغ المغربي، لعبد الله ككون ص 285، والعالم الموسوعي أبو زيد عبد الرحمن الفاسي مع قائمة كاملة لمؤلفاته، لمحمد الفاسي، منشور بمجلة المناهل، العدد 35 ص 55-80.



﴿1﴾ غاية الوطر في نظم ما جل من علم السير

لأبي زيد عبد الرحمن بن عبد القادر الفاسي (1096هـ)

إعداد: دة. شيماء اشعير
عضو المجلس العلمي الجهوي للصحة

المنظومة:

نسبتها إلى ناظمها، وعنوانها، ومصدرها:

نسب منظومة «غاية الوطر» إلى أبي زيد عبد الرحمن الفاسي جماعة من أصحاب التراجم والفهارس؛ منهم المولى سليمان في «عناية أولي المجد»، ومحمد بن الطيب القادري في كتابيه «نشر المثاني» و«الإكليل والتاج»، وابن زيدان في «معجم طبقات المؤلفين»، والشيخ عبد الحي الكتاني في «فهرس الفهارس» وقد وصفها بقوله: «وهي ألفية عجبية»⁽¹⁾، وإسماعيل باشا البغدادي في «هدية العارفين»، و«إيضاح المكنون»، وقد اتفق هؤلاء على تسميتها بـ: «غاية الوطر في علم السير»، وقد صرح الناظم باسمها في قوله:

وقد ومنه بغاية الوطر** من نظم ما قد جل من علم السير⁽²⁾ (3)

أما نسختها الخطية، فالمعروف إلى الآن أنها نسخة فريدة محفوظة بخزانة مؤسسة علال الفاسي بالرباط، مسجلة تحت رقم (753ع)⁽⁴⁾.

وصفها:

نص جل من ترجم لأبي زيد عبد الرحمن الفاسي - ممن تقدم ذكرهم - على أن «غاية الوطر» أرجوزة ألفية؛ أي إن عدد أبياتها يبلغ الألف أو يجاوزها، وقال واضع فهرس خزانة علال الفاسي: إنها أرجوزة بها (1381) بيتاً⁽⁵⁾، وقد أفصح الناظم عن حداثة سنه زمن نظمها، إذ لم يتجاوز الخامسة عشرة سنة، فقال:

فالعذر حقاً لابن خمسة عشر** إذ مثله في العلم ليس يعنبر

وأكد ذلك بالنص على تاريخ نظمها، فقال عقب أبيات:

نظمته في الخمس والخمسينا** من بعد ألف قد مضى نيينا

موضوعها ومضامينها:

تتسم منظومة «غاية الوطر» بالشمول والاستيعاب، إذ لم تترك باباً من أبواب السيرة النبوية إلا تناولته بالعرض والتفصيل؛ فقد استهل ناظمها الحديث عن ابتداء وجود النبي ﷺ، ومولده وما يتصل به من إرهاصات سابقة ولاحقة، فجعل لذلك خمس مقدمات ممهّدات، ثم انتقل إلى ذكر نسبه الشريف فتحدث عن آبائه، وجداته من جهة الأب، وأولاده، وأسباطه، وأزواجه

(1) ينظر: فهرس الفهارس 2/ 735.

(2) ينظر: غاية الوطر، الورقة 1/2.

(3) ينظر: نشر المثاني 2/ 327. والإكليل والتاج ص 413. ومعجم طبقات المؤلفين في عهد دولة العلويين 2/ 165. وفهرس الفهارس 2/ 735. وعناية أولي

المجد ص 44. وإيضاح المكنون 4/ 142. وهدية العارفين 1/ 550.

(4) ينظر: الفهرس الموجز لمخطوطات مؤسسة علال الفاسي 1/ 57.

(5) ينظر: الفهرس الموجز لمخطوطات مؤسسة علال الفاسي 1/ 57.



﴿1﴾ غاية الوصر في نظم ما جل من علم السير

لأبوي زيد عبد الرحمن بن عبد القادر الفاسي (1096هـ)

إعداد: دة. شيماء اشعير

عضو المجلس العلمي الجهوي لصنعة

الطاهرات، ممزا بين من دخل بهن ومن لم يدخل ومن خطين له، وسراريه، وأعمامه، وعماته، وأولادهم، وأخواله، والعواتك والفواطم، وأعمام والده وجده، وكفالة عمه أبي طالب له، وتزوجه من خديجة رضي الله عنها.

ثم انتقل إلى عرض جملة من الوقائع الكبرى، فذكر بناء الكعبة المشرفة، وبدء الوحي إلى رسول الله ﷺ، وذكر السابقين الأولين، ومدة مقامه ﷺ بمكة بعد البعثة، وقصة وفد جن نصيبين إليه.

كما استوعب من أحاط به من حراسه، وأمنائه، ومواليه، وإمامه، وزُفقاءه، وخدامه، وأمرائه، ونقباءه من الأنصار، والمفتين في زمانه، ومؤذنيه، وشعراءه، ورسله إلى القبائل، وكتابه، ونظم العشرة المبشرين بالجنة، وأصحاب الصفة، ومن له به تعلق.

وتحدث عن صفاته الحسية وشأنه وخصائصه، وبين من له شبه به ﷺ في الخلق والخلق، وذكر حادثة الإسراء وما تجلى فيها من الآيات، وسائر معجزاته، ثم تطرق إلى ما اتصل بشؤونه المادية من سلاحه ﷺ، ودروعه، ودوابه، وماشيته، ونوقه، وثيابه، وخاقه، ولباسه، وأثاثه، وأثاثه الشريفة.

وختم بذكر بعثته وسراياه وغزواته والوفود إليه، ثم وفاته ﷺ والتحاقه بالرفيق الأعلى، وغسله، وتجهيزه، ودفنه، وروضته ومسجده الشريفين، قبل أن يذيل ذلك بخمس خواتم فيمن له به ﷺ اتصال في النسب، وأنساب أزواجه، ومن له به اتصال من الأنبياء عليه وعليهم أفضل الصلاة والسلام، مع الإشارة إلى ما في اسمه الشريف من أسرار ومعان.

➤ مصلحتنا:

يقول فاسي اللقب الكناني ** أصلاً ولاسر عابد الرحمن

بحمدك اللهم يا من أنعماً ** بعلم سيرة الخطير المننما

وفجر السلسال من معلول ** عرفانها في روضة العقول

نفيس من حياضه امنداداً ** يرد منها ذو الصدا ارداداً

نحمده جلّ على ذي النعمة ** ونعمر على الأنام جمّة

ونشهد الشهادة الموحدة ** لذانه عن كل نقص مبعدة

شهادة من أفضل الشهادة ** أرجو به خلقة السعادة

وأن أحمد رسول صدق ** أرسله لسائر الخلائق

شهادة من يكون شافعه ** تجعلنا يوم حلول القارعة

إذا اعتري الخلائق الندامة ** وأشفقوا من مطلع القيامة



﴿1﴾ غاية الوصر في نظم ما جل من علم المير

لأبي زيد عبد الرحمن بن عبد القادر القاسمي (ت: 1096هـ)

إعداد: دة. شيماء أشعير

عضو المجلس العلمي لإقليم الصنعة

➤ آخرها:

جعله الله من الذخائر ** لنا إذا نبلى لنا السرائر
فانظر إليه بالرضى إن يُخط ** لا ننظرن له بعين السخط
فهولي كاهني أو كنيستي ** نتحنفي الدعاء بعد موئي
ولنعلم أني لست أهلاً ** إن أنت قد وجدت مني جهلاً
فالعذر حقاً لابن خمسة عشر ** إذ مثله في العلم ليس بعنبر
ذاك وليست أعرف العروضا ** أصلاً ولا ما يلزم القرىضا
إذ لم أكن قرأت قبل نظمها ** شيئاً من العروض أو من علمها
يا من إلى نعيمها ألهماً ** سألتُ يا مولاي أن تجعلنا
من يحاسبونه يسيراً ** وينثنى لأهلها مسروراً
نظمها في الخمس والخمسينا ** من بعد ألف قد مضى نبينا
فامنن علي سيدي بعفو ** واجر علي ما كنت منه أروى
واكف همومي وارحمني واعف ** عني وعافني فمناك اللطف⁽¹⁾

(1) ينظر: مصطفى التمكروني، منظومات السيرة النبوية في الغرب الإسلامي، 434/1.



المصادر والمراجع:

1. ابن زيدان، عبد الرحمن (ت 1365هـ)، معجم طبقات المؤلفين على عهد دولة العلويين، دراسة بيبوغرافية وتحقيق: حسن الوزاني، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية - المملكة المغربية، الطبعة الأولى (1430هـ - 2009م).

2. ابن مخلوف، محمد بن محمد (ت 1360هـ)، شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، دار الكتب الفكر.

3. الإفرائي، محمد بن الحاج بن محمد الصغير (ت 1156هـ)، صفوة من انتشر من أخبار صلحاء القرن الحادي عشر، تقديم وتحقيق: عبد المجيد خيالي، مركز التراث الثقافي المغربي الدار البيضاء، المغرب، الطبعة الأولى (1425هـ - 2004م).

4. البغدادي، إسماعيل باشا بن محمد أمين (ت 1339هـ):

- إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، مطبوع مع كشف الظنون لحاجي خليفة وهدية العارفين، دار الفكر (1410هـ - 1990م).

- هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين، طبع بعناية وكالة المعارف الجليلية في مطبعتها البهية استانبول (1951م)، وصورته عنها دار إحياء التراث العربي بيروت - لبنان.

5. الحريشي، عبد الرحمن بن العربي (ت 1424هـ)، الفهرس الموجز لمخطوطات مؤسسة علال الفاسي، مطبعة الدار البيضاء.

6. الحضيكي، أحمد بن أحمد (ت 1189هـ)، طبقات الحضيكي، تقديم وتحقيق: أحمد بومزكو، مطبعة النجاح الجديدة الدار البيضاء، الطبعة الأولى (1427هـ - 2006م).

7. الزركلي، خير الدين (ت 1396هـ)، الأعلام (قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين)، دار العلم للملايين بيروت، الطبعة السادسة عشر (2005م).

8. السلجاسي، أبو عبد الله محمد بن أبي القاسم (ت 1214هـ)، شرح اليواقيت الثمينة فيما انتهى لعالم المدينة في القواعد والنظائر والفوائد الفقهية، تحقيق: عبد الباقي بدوي، مكتبة الرشد، الطبعة الأولى (1425هـ - 2004م).



﴿1﴾ غناية الوصر في نظم ما جل من علم السير

لأبي زيد عبد الرحمن بن عبد القادر الفاسي (G: 1096هـ)

إعداد: دة. شيماء اشعير

عضو المجلس العلمي الأعلى للصحة

9. العلوي، السلطان المولى سليمان بن محمد (ت 1238هـ)، غناية أولي المجد بذكر آل الفاسي ابن الجد، طبع بالمطبعة الجديدة بطالعة فاس سنة (1347هـ).

10. القادري، محمد بن الطيب (ت 1187هـ):

- الإكليل والتاج في تذييل كفاية المحتاج، دراسة وتحقيق مارية دادي، تقديم محمد بنشرية، الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر.
- التقاط الدرر ومستفاد المواعظ والعبر من أخبار وأعيان المائة الحادية والثانية عشر، تحقيق: هاشم العلوي القاسمي، نشر دار الآفاق الجديدة بيروت، الطبعة الأولى (1403هـ - 1983م).
- الدر الصفي في وصف ما أبدى الجمال اليوسفي (منظومة)، طبع مع كتاب «غناية أولي المجد بذكر آل الفاسي بن الجد» بالمطبعة الجديدة بطالعة فاس سنة 1347 هـ.
- نشر المثاني لأهل القرن الحادي عشر والثاني، تحقيق محمد حمي وأحمد توفيق، مكتبة الطالب - الرباط، الطبعة الأولى سنة (1403هـ - 1982م).

11. الكتاني، عبد الحمي بن عبد الكبير (ت 1382هـ)، فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمشيوخات والمسلسلات، تحقيق: إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي - بيروت، الطبعة الثانية (1402هـ - 1982م).

12. الكتاني، محمد بن جعفر (ت 1345هـ)، سلوة الأنفاس ومحادثة الأكياس بمن أقر من العلماء والصلحاء بفاس، تحقيق: عبد الله الكامل الكتاني وحمزة بن محمد الطيب الكتاني ومحمد حمزة بن علي الكتاني، نشر دار الثقافة بالدار البيضاء، الطبعة الأولى (1425هـ - 2004م).

13. كحالة، عمر بن رضا (ت 1408هـ)، معجم المؤلفين، مكتبة المثنى - بيروت، دار إحياء التراث العربي ببيروت.

14. كنون، عبد الله (ت 1409هـ)، النبوغ المغربي في الأدب العربي، الطبعة الثانية.